الأهرام

المصدر: العالم اليوم
التاريخ: ١٧ نوفمبر ١٩٩١

من الأورال إلى الأوزوراك

ثلاثة أنواع جديدة من العنصرية

فى أوروبا وأمريكا الان ثلاثة أنواع من العنصرية تمتد من جبال الأورال فى أوروبا حتى جبال الاوزوراك فى أمريكا، ففى شرق اوروبا والاتحاد السوفييتى تنتعش العنصرية على أرضية من الصعوبات الاقتصادية وفى غرب أوروبا هناك عنصرية جديدة تقوم على كراهية أى وافد جديد.. أما العنصرية الثالثة فتلك التي يتبناها «ديفيد ديوك» أحد أنصار النازية الجديدة والمرشح السابق كحاكم لولاية لويزيانا بالولايات المتحدة.

وفى كثير من اجزاء غرب اوروبا لا تعتمد العنصرية الجديدة هناك على كراهية جنس أو سلالة أخرى ولكنها تقوم على كراهية أى وافد جديد لا ينتمى إلى غرب اوروبا، ففى المانيا وخاصة الجزء الشرقى منها تعرض الاجانب لأكثر من ٤٠٠ حادث هجوم منذ شهر اغسطس الماضى استخدمت فى معظمها القنابل.. وفى النمسا وسويسرا انتعشت الاحزاب المناهضة للمهاجرين خلال استفتاءات الرأى العام، وفى فرنسا اظهرت استفتاءات الرأي العام إن ١٥٪ من الناخبين يؤيدون توجهات جان بيير لوبان الوطنية العنصرية وأكثر من ضعف هذه النسبة تتفق معه فى أفكاره ضد الاجانب، وفى بلجيكا أصبح الحد من هجرة الاجانب قضية مثارة، وحتى الدانمارك المعروفة بالتسامح تشهد الان انتعاشا للمشاعر العنصرية، فالهجمات ضد الاجانب هناك تتزايد.. كما تظهر استطلاعات الرأى العام أن ٥٠٪ من الدانماركيين يرون أن هجرة الاجانب هى المسئولة عن البطالة ونقص المساكن فى بلادهم.

أما فى شرق اوروبا والاتحاد السوفييتي فإن السياسيين يواجهون مهمة مختلفة فالعنصرية التى تنتشر هناك من نوع مختلف عن عنصرية أمريكا فهى أقرب إلي القبلية منها إلى أى شيء اخر. ورغم أن عنصرية شرق اوروبا والاتحاد السوفييتي تنتعش هى الاخرى على أرضية من الصعوبات الاقتصادية وعدم الاطمئنان للمستقبل كما تحمل عناصر قديمة من التمييز ضد اليهود إلا ان انتهاش هذه العنصرية يعود بدرجة كبيرة إلى أنها تم كبتها لفترات طويلة جدا، فبعد عدة عقود من الشيوعية عاد الناس الذين سحقتهم إلي الحرية مرة أخرى وأصبحوا يريدون التعبير عن أنفسهم ومن الطبيعى وهم لا يجدون ما يفخرون به في تاريخهم الحديث أن يحاولوا إلقاء اللوم فى هذا على أناس أخرين ومن هنا تظهر العنصرية.

التعصب الأعمى

أما ديفيد ديوك وهو أحد انصار النازية الجديدة السابقين ورجل عصابة كوكلوكس كلان فى الوقت الحاضر والذى كان مرشحا كحاكم لولاية لويزيانا قبل أن تقول جماهير الناخبين كلماتها النهائية وتسقطه فإن شعبيته تثير الاحساس بالصدمة ولكنها بالنسبة للخبراء فى مرض التعصب الأعمى شيء لا يثير الدهشة، فالكساد الأمريكى فيما يبدو كان شرطا لظهور ديوك حيث لا تنتعش العنصرية كما هو معروف الا فى الاوقات الصعبة، ومع ذلك فإن الكساد الامريكى لا يبرر وحده ظهور مثل هذا الرجل على سطح الحياة السياسية الامريكية.

كذلك فإن اقتصاد مدينة لويزيانا مازال مرتبطا بشدة بتقلبات اسعار واقتصاديات البترول.. والجريمة العنيفة فيها مرتفعة، والانفاق على التعليم منخفض، ومنذ عام ١٩٨٦ تعانى من تناقص تعداد السكان، كما أن حكامها على تنوعهم فى السنوات الاخيرة ارتبطت اسماؤهم بالفساد وعدم الكفاءة.. والاجانب الذين لا ينظرون الا إلى الحى الفرنسى فى مدينة لويزيانا يتصورون انها مدينة هادئة وينسون ان بيئة الفقر النسبى والاصولية وعدم الرضا السائدة فيها هى انسب بيئة لنمو الاحقاد العنصرية.

ولكن ما الذى يمكن عمله لمحاربة العنصرية؟ إن الاجابة المختصرة على هذا السؤال تقول اننا يجب أن نجعل الناس يشعرون بالأمان.. وهذا يعنى بالنسبة لمرتكبى الاعمال العنصرية استعادة النمو الاقتصادى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وتأكيد استقرار المجتمع كما يعنى بالنسبة لضحايا هذه الاعمال إدانة المشاعر العنصرية دون تردد وتجريم الاعمال العنصرية تماما.

ولكن الرخاء بالطبع لا يمكن تحضيره كما تحضر الأرواح وكذلك الحال بالنسبة للاستقرار الاجتماعى.. والمخاوف بين البيض والسود يمكن أن يتم تكثيفها أو تخفيفها ولاشك أن تخصيص حصص ثابتة من فرص العمل للسود من الأشياء التى تجعل البيض يشعرون بالتمييز ضدهم لأن هذه الحصص تتيح للسود الحصول على فرص العمل حتى ولو لم يكونوا مؤهلين لها تماما فى حين يحرم منها البيض.. ومن هنا يظهر الشعور بالدونية. إن اختيار شخص أسود أو إمرأة أو أحد أبناء الأقلية الصينية قد يكون منطقيا أحيانا إذا كان الأمر متعلقا بقطاعات المدرسين أو البوليس أو القضاة أو حتى الصحفيين ولكن فرض الحصص فى كل القطاعات دون تمييز يجعل كل المجموعات تشعر بأن الأمور لا تجرى على ما يرام. وإذا كان نظام الحصص قد وضع لعلاج الأوضاع القديمة لبعض الأقليات فإنه خلق فى نفس الوقت مظالم فردية بلا حصر. وأدى بالتالى إلى انتشار الحدة والبحث عن كبش فداء.

وعلى الجانب الاخر فإن طمأنة ضحايا العنصرية أمر لا يقل أهمية. وقد كان الرئيس «بوش» على حق حينما أدان المرشح الجمهورى كحاكم لولاية لويزيانا «ديفيد ديوك» رغم أنهما زملاء فى حزب واحد. ودعا الناخبين فى خروج واضح على التقاليد السياسية المعتادة إلى التصويت لصالح مرشح الحزب الديمقراطى. لقد احتج الجمهوريون على الرئيس «بوش» حينما أدان منافسه فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٨ لأنه تعاطف مع شخص قاتل وتصادف أن كان هذا القاتل أسود وسر احتجاج الجمهوريين هو خشيتهم من إلصاق تهمة العنصرية بهم ولكنه الان يدعو الناخبين علنا إلى عدم إعطاء أصواتهم لـ «ديفيد ديوك» رغم أنه أبيض فى انتخابات ولاية لويزيانا وهذا ما يجعل لموقف «بوش» واجهته المنطقية.

اندماج لا انشطار

ومع ذلك فلا تصدق من يقول لك إن أوروبا الغربية ليست معنية فقط بقضية الهجرة بل أيضا بقضية العنصر.. فقد تكون المشاعر البغيضة أقل إذا كان كل المهاجرين إليها من البيض ولكن الأمر يتغير إذا كانوا من غير البيض. ومازال صحيحا أن نحمل ظاهرة الهجرة مسئولية بعض ما تعانيه أوروبا الغربية الان من اضطرابات عنصرية. فمعظم المجتمعات حتى الليبرالية منها تجد من الصعب على نفسها أن تتوافق مع الوافدين الجدد خصوصا إذا جاءوا بأعداد كبيرة وخلال وقت قصير فى وقت ينمو فيه الاقتصاد ببطء أو لا ينمو على الإطلاق. وهذا هو السبب الذى يجعل من المنطقى وضع قيود على الهجرة ومطالبة المهاجرين بالانصياع لقوانين وثقافات البلد التى ينزحون إليها. إن أوروبا الغربية تستقبل الان أعدادا كبيرة من المهاجرين، وبعض هذه الجماعات المهاجرة تكون كبيرة أحيانا إلى حد يدفعها إلى التفكير فى أنفسهم كأقلية لا جزء من الوطن الذى هاجروا إليه وهذا ينطبق على المهاجرين الجزائريين فى فرنسا الذين أصبحوا يفكرون فى أنفسهم كأقلية جزائرية وليسوا كمواطنين فرنسيين. وإذا كان لابد للجماعات الاجتماعية أن تتماسك سويا فإن هذا يقتضى أن يتقاسم أفرادها قدرا مشتركا من القيم والإحساس الوطنى بغض النظر عن اللون أو الدين.

والوجه الاخر لهذه العملة هو أن السياسيين يجب أن يعترفوا بأن الهجرة هى بمثابة عملية نقل دم بالنسبة لمعظم الأمم، إنها تنشط سوق رأس المال وتجلب المشروعات، وتحقن المجتمع بالطاقة والتنوع، وقليل من الأمم هى التى حافظت على نقائها وأقل هذا القليل موجود فى أوروبا حيث إن مجتمعات أوروبا كلها قد استفادت من هذه الهجرة استفادة هائلة..

إن المجتمعات الناجحة لا تقف خامدة ولكنها تحتاج إلى الانتعاش وإلى إعادة الشحن من جديد. وبالمثل فإن الثقافات القديمة مهما بلغ إعجابنا بها تحتاج إلى أن تتأقلم وتتطور، إن اختلاط الثقافات وليس انعزالها واستقصاؤها على التغيير هو الذى يؤدى إلى نجاح الأمة وتحقيق مصلحتها. وهذا يعنى أن المهاجرين يجب أن يضحوا ببعض مواريثهم الثقافية حينما يصلون إلى الشواطىء الجديدة، كما أنه على سكان الشواطىء الجديدة أن يرحبوا بأفضل ما يحمله المهاجرون من عناصر ثقافاتهم. فأمل الإنسانية يكمن فى الاندماج لا فى الانشطار.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية